(٥٢٧)

(مُحمَّدُ بن مُوسَى بن عيسَى بن عليّ الكمال أبو البقاء الدَّميري)

الأصل القَاهريّ الشّافعيّ[١]. ولد في أوائل سنة ٧٤٢ اثنتين وأربعين وسبعمائة تقريباً كما كتب ذلك بخطه، ونشأ بالقاهرة فتكسب بالخياطة، ثم أقبل على العلم فقرأ على التقي السبكي، وأبي الفضل النويري، والجمال الإسنوي، وابن الملقن، والبلقيني. وأخذ الأدب عن القيراطي، والعربية وغيرها عن البهاء بن عقيل. وسمع من جماعة، وبرع في التفسير والحديث والفقه وأصوله والعربية والأدب وغير ذلك. وتصدى للإقراء والإفتاء، وصنّف مصنفاتٍ جيدة، منها: شرح سنن ابن ماجه في نحو خمسة مجلدات سمَّاه (الديباجة) مات قبل تبييضه، وشرح المنهاج في أربعة مجلدات، سمَّاه (النجم الوهَّاج) لخصه من شرح السبكي والإسنوي وغيرهما، وزاد على ذلك زوائد نفيسة. ونظم في الفقه أرجوزة مفيدة، وله تذكرة حسنة. ومن مصنفاته (حياة الحيوان) الكتاب المشهور الكثير الفوائد مع كثرة ما فيه من المناكير، واختصر شرح الصفدي للامية العجم، وأفتى بمكة ودرَّس بها في أيام مجاورته، قال ابن حَجَر: اشتهر عنه كرامات وأخبار بأمور مغيبات يسندها إلى المنامات تارة، وإلى بعض الشيوخ أخرى، وغالب الناس يعتقد أنه يقصد بذلك الستر، (ومات) في ثالث جمادى الأولى سنة ٨٠٨ ثمانٍ وثمانمائة، ومن نظمه: [من الكامل]

بمكارمِ الأخلاقِ كُنْ مُتَخلِّقاً ... لِيَفُوحَ نَدُّ ثَنَائِكَ العَطِرِ الشَّذي[٢]

وَاصْدُقْ صَديقكَ إن صَدقْتَ صَداقةً ... وادْفَعْ عَدُوّكَ بالتي فَإذا الذي[٣]

(٥٢٨)

(السيد مُحمَّد بن هَاشِم بن يَحْيَى الشامي ثم الصَّنعاني)

سيأتي تمام نسبه في ترجمة والده، وهو الأديب البارع الفائق. ولد تقريباً سنة ١١٤٠ أربعين ومائة وألف أو قبلها، ونشأ بصنعاء فأخذ عن جماعة من أهلها، ومنهم والده العلَّامة. وكان زاهداً متعففاً متقللاً من الدنيا، لا يبالي بما ظفر منها ولا بما فاته مع كونه كان نديماً للوزير الكبير الفقيه أحمد بن عليّ النَّهمي، بل كان يتصل بالإمام المهدي العبَّاس بن الحُسين كثيراً. وَعُرضت عليه الأعمال فأباها تزهداً وتديّناً، ونظمه

---

(١) ترجمته في: شذرات الذهب: ٧/ ٧٩؛ الضوء اللامع: ١٠/ ٥٩؛ كشف الظنون: ٣٨٦، ١٧٤١؛ هدية العارفين: ٢/ ١٧٨؛ معجم المؤلفين: ١٢/ ٦٦؛ الأعلام: ٧/ ١١٨.

(٢) النَّدُّ: ضربٌ من النبات طيب الرائحة، يُتبخَّرُ بِعُوده.

(٣) في البيت إشارة إلى قول اللَّه تعالى: ﴿**ادْفَعْ بالتي هِيَ أَحْسَن فإذا الذي بينكَ وبينَهُ عَداوةٌ كأنَّه وَليٌّ حَميمٌ**﴾ [فصلت: ٣٤].

كله في الذروة العليا بحيث يفضل على كثير من المتقدمين، ومنه من قصيدة: [من الرجز]

يا بارقاً أوهمني تَكْرارُه ... إذ لاحَ من أرضٍ بها فؤادي
فَلستُ أدري هلْ حكَى خُفوقُه ... خُفوقه حَوْلَ حِمَى سُعادِ
أم اكْتَسى مِنْ لَاعجي صقيلةً ... فانعكستْ أشعةُ التّردادِ[1]
إيه أحاديثكَ يا برقَ الحِمَى ... إن كنتَ عَمَّنْ فيهم تُنادي
هاتِ عن الأينق أين عَرَّستْ ... ولا أقولُ هاتِ عَنْ مُرادي[2]
أينَ استقلّتْ بالفريقِ إنما ... عَهْدي بها حين حَداها الحادي[3]
وحينَ شيّعت فؤادي مَعهُمْ ... بأدمعٍ تملأ كلّ وادي[4]
إذ قوّضوا تلكَ الخيامَ والنقا ... يُرعد مِنْ قعقعةِ الأغمادِ[5]
بَانوا فلا كاسُ المدامِ بَعدهم ... كاسي ولا يطربُ كلّ شادي
وَاغْدَوْدفَ الليلُ فكادَ فَجْرهُ ... لَوْ لاحَ أنْ ينظم في السّوادِ[6]
وَجاء نجمٌ بعدهم كانَ بِهِمْ ... أمْضَى من الضُّمَّر في الطّرادِ[7]
يُسبلُ لِلمقلةِ من شُعاعهِ ... حَمايلاً مُسبلة الحدادِ
يا روَّعَ اللَّه النوى تَرْويعه ... لمهجةٍ مَملوكةِ القيادِ
وأنتَ يا عهد اللقا حُيِّيت مِنْ ... دمعٍ ومِنْ مَنهلةِ الغَوادي[8]
هَلْ عودةٌ يرتقصُ الأفق بها ... ويَرتوي منها ظَما الأكبادِ
وَيُرجع القلب بها مَقرَّه ... ويُطبقُ الجفنُ على السَّوادِ

ومن محاسن نظمه ما وصف به غبار موكب الخليفة وأجاد إلى الغاية: [من البسيط]

سَلاهب المجدِ نهراً سالَ مُنحدراً ... من السوابغِ تحتَ البيضِ واليَلَبِ[9]

---

(١) اللاعج: حرقة الحُبّ والشوق.
(٢) الأينق: النوق: جمع الناقة. عَرَّست: نزلت ليلاً للاستراحة.
(٣) استقلت: مضت وارتحلت. حداها: ساقها ودفعها. الحادي: سائق الإبل.
(٤) شَيَّعَ فلاناً: خرج معه لِيُودِّعه ويبلغه منزله.
(٥) قَوَّض فلان البناء ونحوه: هَدمه. النقا: الكثيب من الرمل. القعقعة: الضوضاء والجلبة.
(٦) اغْدَوْدَفَ الليل: اشْتَدَّ سَوادُه.
(٧) الضُّمَّرُ: الخَيْلُ المُروَّضة المُذلَّلة. الطِّراد: السِّباقُ ونحوه.
(٨) الغوادي: السُّحب الصباحية.
(٩) السلاهب: جمع السلهب: الطويل من الناس والخيل. السوابغ: الدُّروع الطويلة التامَّة. البيض: السيوف. اليلب: الفولاذ من الحديد، وقيل: جلود يُخرز بعضها إلى بعض، يلبسها الرؤساء خاصة.

في ظلمة الليلِ يحكى في تَعطُّفهِ ولِلأسنّةِ فيه زاهرُ الشُّهبِ
مَلاعبُ الماء في جوفِ الدُّجنَّة يَجـ ـري الشمعُ فيه بألواحٍ من الخَشَبِ[١]
مَاءٌ هو النار في الهيجاءِ يتركُ أر واحَ الأعادي فراشاً عِنْدَ مُلتهبِ

ومن غريب صنعه وبديع اختراعه هذان البيتان فيما لا يستحيل بالانعكاس، وهما يفوقان على ما نظمه من قبله في ذلك: [من الوافر]

أما لِسلامكم قربٌ ورقمٌ أمقروٌّ بِرقْمكم السَّلاما
أما لَكَ لا تردّ صَداه إنَّا فَأنَّى هاد صَدّرْتَ الكَلاما

ودعاني رحمه اللَّه إلى منزله في بعض الأيام فاحتفل في ذلك احتفالاً زائداً، وكان معي صديق لي من أعيان أهل العلم، فكتب صاحب الترجمة إليّ وإلى صاحبي بعد ذلك المجلس بأيام هذه الأبيات: [من البسيط]

يا نَيّريْ فلكِ العلياءِ دامَ لنا مِنْ نورِ عِلْمِكُما ما يكشفُ الظُّلما
ولا تكَدّر هذا النور إن حَجبتْ نُور الزواهر سُحب تُمطر الدِّيما[٢]
ماذا تقولانِ فيما قدْ تقرَّر بِا لإجْماعِ حَقّق هذا من بهِ حَكَما
وما عَلِمنْا خلافاً فيه قطّ لمنْ مَضَى وَخبره في الشعرِ أو نظما
قالوا بأنّ شهاداتِ القُلوبِ إذا قامتْ بصدقِ ودادٍ صارَ مُلتزَما
ومَنْ أحبّ امرأً صحَّ القياسُ لهُ قَطْعاً بأنّهما في السلكِ قَدْ نُظِما
وَقدْ تَضمَّن تصديقاً تَصوُّره بنسبةٍ لِتَساوي الودِّ بَيْنَهُما
وإنما الشّوق منْ قسم المُشكّك هلْ فيهِ اعتراضُ قياسٍ في اسْتِوائهما

فأجبت عن هذا السؤال بقولي: [من البسيط]

وقَدْ تَردَّد في أشكالهِ فأَفِيـ ـدوا مُغرماً صارَ مشتاقاً لِوَصْلِكُما
يا ابن البهاليلِ والأطوادِ من مُضرٍ والمُنعمين بسيبٍ يخجلُ الدِّيما[٣]
قَدْ دلّ نظْمُكَ لِلدُّرِّ الثمينِ بِلا شَكٍّ بأنَّكَ بحرُ للعلومِ طَمَا[٤]
وَرُمْتَ إبداءَ عتبٍ في مُلاطفةٍ وَقَدْ أسأتُ بِبعدي فَاحْتملْ كَرَما

---

(١) الدجنة: الظلمة الشديدة.
(٢) الزواهر: الكواكب المتلألئة. الديم: جمع الديمة: المطر يطول زمانه في سكون.
(٣) البهاليل: جمع البهلول: السَّيِّدُ الجامع لصفات الخير. الأطواد: جمع الطود: الجبل العظيم، يشبه الرجل القويّ الشريف به. السَّيْبُ: العطاء.
(٤) طما البحر: امتلأ وفاض.

فالشوقُ بالشوقُ منقاسٌ ومُعتبرٌ قَضَى بذلك خيرُ الرُّسلِ والحُكَما
ولا تُشَكِّك بالتَّشكيكِ فَهْو على تَواطؤٍ باتحادِ الجنسِ قدْ نُظِما
وَمُوجبات ودادي فيكَ ما سلبتْ وَلا غَدا عقدُ ودِّ عنكَ مُنفصِمَا[١]
ولا انْفصَلتْ لمنعِ الجمعِ مُذْ دَلهتْ نَفْسي بمنعِ خُلوٍّ صارَ مُلتزمَا[٢]
مُحصلات ودادي ما رضيتُ لها عَنْكَ العدولَ ولا ولَّيتها العَدَما
وَقدْ تألّفَ شَكْلانا على نَمطٍ لهُ نَتائج ودٍّ يمنعُ العَقَما

وشعره في كلّ فنٍّ جيد، ومن رام الوقوف على ما حكيته فلينظر في قصيدته الحائية التي قابل فيها بين الأضداد، وضرب فيها الأمثال، وجاء بما لا يقدر عليه غيره فمنها: [من الوافر]

وَكلُّ مُحسّب الأشياءِ مِمَّا يُعانيه كَئيباً أو مُراحا[٣]
إذا صَدَحَ الحمامُ يقولُ غنَّى الـ ـمُنَغَّم والشّجيُّ يقولُ نَاحا[٤]
وإن بَرْقٌ أنارَ يقولُ هذا افْـ ـتِرارٌ إنْ يَقُلْ ذاكَ اقْتِدَاحا
وَقَطْر المُزنِ شبّههه دُموعاً حليفُ شجًى ومنتجعٌ سَماحا[٥]
وقالَ الشهبُ حايرةٌ أناسٌ وقال الآخرون مَضتْ جِماحا[٦]
وجمعُ الفرقدين يقولُ وصلٌ كما قَدْ قيلَ لِلشَّكْوى اسْتَراحا
وقال الفجرُ قاطعُ لذّة مَنْ لَهَا وَمُسهّد فَرَج ألاحا[٧]
وَقِيلَ الغُصن لما مَال قَدًّا تَثنَّى أنْ يقالَ حلَى النّياحا
وقَضَّى الصُّبحَ والآصالَ نَوْحاً فَتًى وفتًّى غَبُوقا واصْطِباحا[٨]
وميزانُ الزمانِ بِكفَّتيْهِ تَرى جدَّ العجائبِ والمِزَاحا
يُقرُّبَ هازلاً ويزيحُ جدّاً وَكم عَكَس المُقرّب والمِزَاحا
وَكم يأسو بوزنٍ راجحٍ كيْ يُوفّي مَنْ يزين لهُ جِرَاحا

(١) مُنْفَصِمٌ: مُنْقَطِعٌ.
(٢) يقال: دَلِهَ دَلْهاً، ودَلَهاً، وَدُلُوهاً: ذهب فؤاده من عِشْقٍ أو هَمٍّ.
(٣) مُراحٌ: من أراحه: أدخله في الراحة.
(٤) الشَّجيُّ: الحزين.
(٥) السَّماحُ: اللِّين والسهولة، أو البذل في العُسْر واليُسْر عن كرمٍ وسخاء.
(٦) حايرة: حائرة. الجِماحُ: العُتُوُّ وركوبُ الهوى.
(٧) ألاحَ الشيءُ: بدا وظهر.
(٨) الغُبوق: شرب العَشيّ. الاصطباح: شربُ الصباح.

وَكـم دارَ الـزمـانُ فـراحَ يـسـقـي بِـكـاسَـيْـهِ الـوَرَى صَـابـاً وَرَاحـا[١]
وكـم أعـطـى فـتًـى مـنْ بـعـدِ سَـلْـبٍ وكـم سَـلَـبَ الـعَـطـيّـة إذ أتـاحـا
وكـم سـهـم يَـريـش وربّ طـيـرٍ لـه قـدْ بـاتَ يَـسـلـبُـه الـجَـنـاحـا[٢]
وكـم رَقَّـى إلـى الـعـلـيـاءِ نَـذْبـاً وآخـرَ مـنْ شَـواهِـقـهـا أطـاحـا[٣]
وكـم قـدْ أخـرسَ الـمِـنْـطـيـقَ يَـومـاً وأعْـطَـى الـخُـرْسَ ألـسـنـةً فِـصَـاحـا[٤]
وكـم مـنْ حـكـمـةٍ خـفـيـتْ عَـلـيْـنـا وأُخْـرى وَجْـهُـهـا الـوضّـاح لَاحـا
وكـم أمـرٍ نُـشـاهِـدُه فـسـاداً وذاكَ فَـسـادهُ كـان الـصّـلاحـا
وكـم ضـاقَ الـفـتـى بـالـخـطـبِ ذَرْعـاً وطـيّ مَـضـيـقـه لَـقـي الـفـسَـاحـا

فلو لم يكن له إلّا هذه القصيدة، بل لو لم يكن له إلّا بعض أبياتها لكان ذلك موجباً لعلوّ طبقته. وكان (موته) رابع شهر محرم سنة ١٢٠٧ سبعٍ ومائتين وألف.

٥٢٩

(مُحمَّد بن يَحْيى بن أحمد بن دغرة ابن زُهْرَة الشمس الدِّمشقي الطَّرابلسيّ الشَّافعي)[٥]

المعروف بابن زُهْرَة بضم الزاي. ولد سنة ٧٥٨ ثمانٍ وخمسين وسبعمائة، ونشأ بطرابلس، فحفظ مختصرات، وتفقه بابن قاضي شهبة، والشرف الغزّي. ودخل القاهرة فلقي البلقيني، وأخذ الأصول عن الشهاب الزهري، وغيره. وسمع من جماعة كابن صديق، والكمال بن النحَّاس. وتصدّر بالجامع الأموي، ثم انتقل إلى طرابلس، وصار شيخها وعالمها، وتصدّى لنشر العلم، وانتفع الناس به طبقة بعد طبقة. وصنّف شرحاً للتنبيه في أربعة مجلدات، احترق في الفتنة، وشرحاً للتبريزي في ثلاثة مجلدات، وتفسيراً في نحو عشرة مجلدات سمَّاه (فتح المنان في تفسير القرآن)، وتعليقاً على الشرح والروضة في ثمانية مجلدات. وله تعليقة في مجلد كبير كالتذكرة، يشتمل على مسائل. وهو الذي قام على السراج الحمصي بسبب نظمه للقصيدة التي

(١) الصاب: نبتٌ عصارته شديدة المرارة.
(٢) راش السَّهْمَ: ركَّبَ له ريشاً.
(٣) رَقَّى: أَصْعَدَ. النَّذْبُ: الخفيف السريع عند الحاجة. الشَّواهق: جمع الشاهق: العظيم الارتفاع. أطاح: أسْقَطَ.
(٤) المنطيقُ: البليغ، الفصيح.
(٥) ترجمته في: الضوء اللامع: ١٠/ ٧٠؛ كشف الظنون: ٤٣٨؛ إيضاح المكنون: ١/ ٣٠٢؛ هدية العارفين: ٢/ ١٩٥، معجم المؤلفين: ١٢/ ٩٨؛ الأعلام: ٧/ ١٣٩.